24

القوى العظمى: إعادة التفكير المنشود

العهد الجديد؟ بوش وغورباتشوفي في مالطا

حدد هذين الاثنين الاتجاه في بداية الأمر. كانت اللغة التي استخدمها كل من ميخائيل غورباتشوف وجورج بوش على متن السفينة الراسية في ميناء مالطا في ديسمبر 1989بعيدة الشأن، حيث أعلن السالف ذكره أن العالم أنهى عهدًا وبدأ آخر جديدًا. وأعرب الأخير عن تحول العلاقة بين الشرق والغرب إلى علاقة دائمة التعاون. عرف جورج دبليو بوش (1924) الكثير عن العالم بالفعل أكثر من معظم رؤساء الولايات المتحدة. ولقد احتفى زملائه الجمهوريين بتحذيره الأولي، إلا أن آخرين، بما في ذلك بعض من زملائه في الحزب، شعروا أن الوقت قد حان للانطلاق. لم تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية أن تكون في المركز الثاني بعد الاتحاد السوفيتي، لذلك تسعى الآن لجعل العالم آمنًا للديمقراطية. ومن المفارقات على الرغم من ذلك، تجلى التعاون الدائم في البداية في المنافسة الفعلية لامتلاك هذا العالم الجديد. تم وضع القاطنون في مالطا في عام 1989، ليتذكروا زوارهم الأقوياء. على مدى القرون لم يوضح تاريخهم الانعزالي التي بين العوالم التعاون الدائم بين الشرق والغرب. التحول الذي تحدث عنه بوش لأسباب غير مفهومة تأخذها موسكو وواشنطن في الاعتبار في المقام الأول. ومع ذلك قد يكون من الصعب التعاون المؤقت بين الشرق والغرب، المتخيل حدوثه على نطاق واسع. حتى في الميناء،

كانت المياه المالطية في ديسمبر 1989 متلاطمة. كان ليكون هناك عبورًا سلسًا للعهد الجديد. لم تختفي العوالم القديمة بين عشية وضحاها. انهارت بعد ذلك بعض هياكل الدول، والتي على ما يبدو كانت آمنة في عام 1991. وتم إحياء العداوات القديمة التي كانت قد ذهبت أدراج الرياح .إن خطاب النظام العالمي الجديد، على الرغم أنه كان غالبًا باطلاً، لم يعبر إلى حد ما عن الشعور الجماعي للعالم الذي يتطور، حيث تم تصويره على نطاق كبير آخر عام 1945. ويجرى استبدال الإطار القديم من قبل جانب واحد حيث أن مفهوم النظام بدا إشكالية. أفسحت العوالم الحرة والعوالم الشيوعية والعوالم غير المنحازة، التي لديها على الأقل اتجاهات تفسيرية واضحة، الطريق أمام الحركية وعدم اليقين.

الأمم المتحدة: هل تفي بالغرض؟

بحلول عام 1989، تابع غورباتشوف بشكل مستمر لبعض الوقت عرض "التفكير الجديد لبلادنا والعالم". في ديسمبر 1988، تحدث عن هذه الشروط أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة. لقد ذكر أنه حان الوقت للتأكيد على مركزية المنظمة. وذكر أيضًا أن الحرب الباردة أردعت مجلس الأمن من تنفيذ دوره المصمم له، لكن الأمور ستختلف كثيرًا.كان المناخ الجديد بين أعضائه الدائمين واضحًا في الواقع. على سبيل المثال، لاحظ المندوب البريطاني ظهور مجموعات جديدة من الدول. في بعض القضايا، وجد نفسه أقرب لخصومه السابقين من أصدقائه القدامى. كانت مجموعة دول عدم الانحياز الـ 77 دولة مشتتة إلى حد ما وغير منحازة. في الوقت الحالي كانت هناك حركة على الأقل، وكانت هناك قضايا جديدة. في عام 1987، أثار تقرير لجنة برونتلاند عن البيئة والتنمية جدلاً دائمًا عن المسائل التي تتجاوز حدود الدول.

لكن ليس بالبساطة التأكيد بالعودة إلى ما قد يكون قد بدر في أذهان القوى العظمى في عام 1945. كانت الأمم المتحدة نتاج العصر الحديث، على الرغم أنها أصبحت متعددة الأبعاد. قد يحتاج العالم المعاصر إلى إعادة إحياء الأمم المتحدة، لكن من سيتمكن من إحياءها؟ تم تجميع مسائل التمويل، والتنظيم، والكفاءة، والنزاهة، والعمل، والتكوين معًا ووضعها على طاولة الأمم المتحدة نفسها للمناقشة. هل سيتمكن الأمين العام للأمم

المتحدة تجسيد طموحات العالم؟ في عام 1982، شغل هذا المنصب الدبلوماسي البيروفي بيريز دي كويلار (1920)، وكان سلفه النمساوي كورت فالدهايم، الذي أصبح رئيسًا للنمسا من عام 1986 حتى 1992، وهو الرجل الذي تضاءلت منزلته نتيجة الخلاف حول عمله وقت شن الحرب. كانت أمريكا الجنوبية في هذا المنصب علامة متواضعة للظهور العالمي، لكن كانت ولايتها قد شارفت على الانتهاء. سيكون هناك ضغطًا لا مفر منه لإيجاد وريث مقبول. لذلك تحولت الأنظار إلى بطرس بطرس غالي (عام 1922)، كان مسيحيًا قبطيًا مصريًا، يتمتع بروابط فكرية وشخصية قوية مع باريس، وفيما بعد مع العالم الفرانكوفوني (الناطق بالفرنسية). وكان إصدار ما يُسمى "خُطة للسلام" من أولى خطواته في عام 1922. على الرغم أنه وضع خطة، إلا أنه لم يفعل أي شيء بها أو بمعنى آخر لم يُسمح له بفعل شيء آخر.لا يمكن لأي قدر من الحديث عن مركزية الأمم المتحدة في العالم الجديد أن يخفي مدى قدرتها التشغيلية، حتى على أبسط مستوى أساسي للتمويل، اعتمادًا على مشاركة دول العالم، مع كل مصالحها الخاصة. انتشار المنظمات الدولية التي ترغب في عمل شيء للتوسعة ليست فقط المفاهيم القانونية للسيادة من الناحية النظرية ولكن أيضًا من الناحية العملية التي يرغب فيها القادة الوطنيين في الاحتفاظ بها لأنفسهم.

وفي خطاباته أمام الكونجرس في سبتمبر 1990 وأماكن أخرى، رسم بوش مخططًا لعمل شراكة من شأنها أن تُمكن الأهداف المذكورة في الأمم المتحدة أن تؤتي ثمارها. ومع ذلك ظلت التفاصيل مبهمة، وبقدر ما تم إسناد النظام الجديد إلى العلاقات الشخصية بين الرجلين، حيث تحول جورباتشوف لكن سيظل لمدة عامين في منصبه. لم يكن أيضًا لبوش فترة ثانية. حيث انهزم في الانتخابات الرئاسية الأمريكية في نوفمبر 1992. لذلك لم يدم العهد الجديد الذي كان يُجرى تحديده في مالطا طويلاً. حل بدل الشراكة السوفيتية الأمريكية الجديدة نمطًا معقدًا من العلاقات العالمية، على الرغم أنها كانت تبدو في أوج انتعاشها. وفي حديثه أمام الأمم المتحدة، يجري غورباتشوف في ترتيبات العلاقات، في نفس الوقت الذي يشارك العالم فيما قام بتحديده بالقوى الكبرى، وهي الولايات المتحدة

الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، وأوروبا، والهند، والصين، واليابان، والبرازيل. يتم التركيز على هذه الكيانات، بالإضافة إلى الشرق الأوسط وأفريقيا الغائبة في الفصول المتبقية إلى حد كبير.

لا زال العالم يحسب حسابات القوى العظمى. حيث كانت هذه القوى أقوى منهم، وفي غضون بضع سنوات، تلاشت إحدى القوى العظمى السبعة وهي الاتحاد السوفيتي. وكان لابد من تعريف قوى أخرى، وهي أوروبا من جديد. ومن المرجح أيضًا أن هذه القوى العظمى اعتقدوا أنهم قوى رئيسية بالطريقة ذاتها، إلا أنها قد تتغير. وحسب الوضع الحالي للأمور، كان هناك احتمالاً ضئيلاً في الرغبة في المشاركة من جانبهم لدعم العالم من خلال الأمم المتحدة. إلى جانب ذلك، كان هناك تعسفًا واضحًا في تحديد هذه القوى وغيرها من الدول المرشحة الأخرى (إيران أو إندونيسيا) التي قد تكون مؤهلة لذلك. كانت هناك أيضًا قوى صغيرة، لا سيما في منطقة الشرق الأوسط، وهي قوى تتحكم في موار العالم المهمة مما يجعلهم لاعبين رئيسيين. وبالطبع حملت قائمة غورباتشوف رسالة إلى جميع القارات. كانت الرسالة الأكثر وضوحًا أن أفريقيا ليست من القوى العظمى. أما بالنسبة للشرق الأوسط فاستمر في التقلب وكان بالفعل يقوم بطرح المسائل الرئيسية والمسببة للخلاف للمجتمع الدولي.

الحضارات: هل يوجد صدام حضارات؟

ظهرت سُبل أخرى للنظر إلى العالم في التسعينيات. نشر العالم السياسي في جامعة هارفارد صموئيل هنتجتون (1927) "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي" في عام 1996، حيث أعرب بالتفصيل عن آراءه في وقت سابق في مجلة الشؤون الخارجية. تخصص في تصادم الحضارات في كتاباته. لفت عنوان كتابه انتباه العالم بأجمعه. يجب أن يتم إلغاء الخريطة العالمية المصورة وكل ما يتعلق بالعالم الحر/ العالم الشيوعي/ الدول الصغيرة المحايدة تمامًا. ومن هذه الناحية، اعتقد إنه ينبغي أن يأتي بخريطة توضح هذه الحضارات. حيث تعني كلمة "غربي" أمريكا الشمالية وأوروبا اللذين يمتدان من الشرق، لكن ليس بعيدًا جدًا عن الشرق، هذا يترك مساحة للعالم الأرثوذكسي. كانت أمريكا اللاتينية

واليابان عالمين لوحدهم. كان هناك أيضًا العوالم البوذية والهندوسية و الإسلامية. العالم الإسلامي يُشكل كتلة واضحة إلى حد ما (شمل ذلك شمال أفريقيا والسواحل الإفريقية الشرقية)، لكن ذكرها التخطيط تحت مسمى العالم الإفريقي، وليس تحت مسمى العالم الإسلامي. بالكاد كان تصوير عالم الحضارات ارتقاء كبيرًا. ولت الشهرة العالمية للمؤرخ البريطاني "أرنولد توينبي"، الذي بذل مجهودًا مضنيًا في سبيل تذليل التحديات والاستجابات على نقيض الحضارات. كان اعتقاد هنتنجتون أن الأشخاص عرّفوا أنفسهم بناءً على النسب، واللغة، والدين، والعادات. لم تعتمد الفروق المميزة على الإيدولوجية أو الحالة الاقتصادية، لكنها اعتمدت على الثقافة. الصراعات التي ظهرت أو التي استمرت لفترة طويلة لم تحل، يمكن العثور على حل لها حيث حضارات العالم كانت الأكثر وضوحًا، البوسنة، والشيشان، والقوقاز، وآسيا الوسطى، وكشمير، والشرق الأوسط، والتبت، وسريلانكا، والسودان. استنتاجه كان قاسٍ. سيكون صراع الحضارات، بدلاً من الدول أو الأمم هو السمة المميزة للعصر الجديد. في هذه القراءة لم يعد يركز العالم على الدول والأمم.

أثرّت طبيعة العالم نفسها مرة أخرى على المعلقين من جميع أنحاء العالم في أعقاب الجدل الذي أثاره الكتاب. استمرت مقومات الحضارة في مقاومة الاستيعاب والاستغراق أو الإدماج في عالم محكم. لقد لمسوا العولمة المؤسسية، والتعويم الحر، وهوياتهم المعتزين بها المهددة، ومعتقداتهم، وتراثهم. أصبح هذا التوتر الأساسي أكثر حدة في أواخر القرن العشرين، كما تسارعت الثقافات بعيدًا عن الممارسات الإقليمية التي منحها لهم التاريخ. التطورات التكنولوجية أنشئت مواقف في تلك المجتمعات، على الرغم أن المقيمين في إحدى الدول تمكنوا من الاستمرار حتى الآن في مشاهدة حياة وطنهم والمشاركة فيه. من الممكن أن الثقافات لم تعد بحاجة إلى أراضي.

على الرغم أنه ادعى عدم وجود حل شامل، إلا أن غورباتشوف كان مشغولاً في الكشف عن العوالم الجديدة في كل مكان. كما أمن بطريقة متعددة الأبعاد (على الرغم من التناقض) كان هناك توق للاستقلالية، والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية. كانت هناك

عدة مشكلات، مثل الطعام، والطاقة، والبيئة المطلوب من العالم حلها. ساعد اجتياح ثورة النقل والاتصالات على جعل العالم مكان واحدًا بشكل واضح وملموس، وربما أكثر تنظيمًا أكثر مما قبل. هذه الأوصاف العامة لها أثار محلية مختلفة حتى الآن. كان برج التلفزيون، في فيلينيسو عاصمة ليتوانيا السوفياتية، جزءًا من ثورة الاتصالات العالمية التي أشار إليها غورباتشوف، لكن وجد أيضًا لها أهمية محلية مربكة.

البداية من بحر البلطيق

لم يكن العالم الجديد، الذي تلاشى فيه وجود الاتحاد السوفيتي، أمرًا أراده غورباتشوف في عام 1989. في الواقع، كلا الحالتين لديهم هدفًا غربيًا. على الرغم من ذلك، إنه هيكل حالي موجود تحت الضغط. في ربيع 1990، كان هناك اضطراب في مدينة فيلنيوس. صوت البرلمانيون الليتوانيون لصالح الانفصال عن الاتحاد السوفيتي. في أغسطس السابق، شكّل نحو مليوني شخص، من ثلاث جمهوريات سوفيتية بلطيقية، سلسلة بشرية للاحتجاج. ظهر الهدف من الاستقلالية المستأنفة لهم أكثر جاذبية وإمكانية. حاول غورباتشوف فرض حصارً اقتصاديًا على ليتوانيا، لكنه لم يتمكن من تغيير العقول. في 13 يناير 1991، اقتحمت قوات الأمن السوفيتية برج التلفزيون بفيلنيوس. أراد المتشددون في موسكو السيطرة على هذا لا سيما موقع الاتصالات. ولم تكن تلك الإجراءات المتوقعة من الدولة التي حاز رئيسها (أصبح غورباتشوف في الآونة الأخيرة) جائزة نوبل للسلام في أكتوبر السابق. عندما تهجمت قوات الامن على البرلمان الليتواني في هذا الشهر، ربط آلاف الأشخاص أياديهم لإيقافهم، وتم قتل أربعة عشر شخصًا. على الرغم من ذلك، لم يتم التركيز على التقدم العسكري. أخذ غورباتشوف مسارًا مختلفًا، يؤكد طابع الدول الاشتراكية للاتحاد السوفيتي. ما من كلمة تعبر أكثر من كلمة السيادة في هذه المرحلة. في فبراير 1991 فضّل أكثر من 90 في المائة من الليتوانيين الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي (كما حدث وضعًا مشابهًا في لاتفيا، وإستونيا في مارس، على الرغم من أن الغالبية كانت صغيرة). استمر غورباتشوف في التفكير في عقد معاهدة اتحاد جديدة واختيارية يُمكنه بها النجاح في الاحتفاظ بوحدة الاتحاد السوفيتي بطريقة أو بأخرى. كان

لديه دولة مُستعدة للتوقيع في أغسطس 1991، وذلك بعد حدوث محاولة انقلاب عليه. ادعى المتآمرون أنهم كانوا يحاولون الحفاظ على وحدة الاتحاد السوفيتي وإيقاف انهياره. حدث ذلك الانقلاب في موسكو. كان غورباتشوف في شبة جزيرة القرم (ولم يستسلم)، لكن فشل الانقلاب. في أعقاب ذلك، لم تتمكن موسكو من عقد معاهدة الاتحاد. بحلول سبتمبر، اعترف رسميًا اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية باستقلال جمهوريات البلطيق الثلاثة ودعم طلباتهم للحصول على عضوية الأمم المتحدة. لم يكن هناك أمرًا بسيطًا لإعادته، على سبيل المثال بشأن فيلنيوس، فهي مدينة متعددة الأسماء. ففي فترة ما بين الحربين، كانت بولندا ونحو ثلثي سكانها يعدون أنفسهم بولنديين وثلث يعد نفسه يهوديين. ونادرًا ما يتم التصنيف كـ "ليتوانيين". إلا في 2001، اعتبرت أغلبية ضعيفة نفسها من الليتوانيين. تعد قصة فيلنيوس المعقدة بمثابة مثال عن تعريف الانتشار وإعادة التعريف التي كانت تدور في عالم دول البلطيق. تختلف هذه الدول عن بعضها البعض، لا سيما السكان الروس، على الرغم من انضمام إستونيا ولاتفيا إلى ليتوانيا في مواجهة المشاكل الكبرى للتكيف الاقتصادي. بمجرد إنتهاء المناخ المتدهور من الاستقلالية المستعادة، ازدادت صعوبة تطوير الديمقراطيات العاملة بطريقة فعالة، حيث لم يمنح ماضيهم أي دليلاً مفيدًا يؤخذ في الاعتبار بخصوص هذا الشأن. انتشرت أحزاب سياسية بأعداد كبيرة، مع ظهور الحكومات الائتلافية بنتائجها المحتومة والتي كانت في بعض الأحيان غير مستقرة. وجرى تكوين عالم البلطيق في سياق آخر حيث التوازنات العرقية الحالية والإصدارات الأهلية للأزمان الماضية الوطنية التي يمكن أن تشتبك بسهولة. كان يجب على ليتوانيا، ولاتفيا، وإستونيا، وبولندا، وبيلاروسيا/ روسيا البيضاء، والسويد، وفنلندا، وبالطبع روسيا إقامة علاقات جديدة. مجازًا، أخذت دول البلطيق الثلاثة المُشكلة الطريق إلى الغرب (وبالنسبة لبعض المواطنين، لم يكن الطريق قط مجازيًا)، على الرغم من ذلك قد تكون الرحلة معقدة. نجحت طلبات الحصول على عضوية الناتو والاتحاد الأوروبي في 2004. أدوا دورًا مهمًا على الرغم من أن الدور كان ضئيلاً في سياسات الاتحاد الأوروبي بعد ذلك.

إعادة تشكيل روسيا

امتدت روسيا (هذا يعني الاتحاد الروسي) من كالينينغراد في بحر البلطيق وفلاديفوستوك في المحيط الهادي المجاورة للصين وكوريا الشمالية. وظلت واسعة سواء في مداها أو تعقيدها. تبع ذلك مسألة أخرى، كانت مسألة قديمة لكنها أساسية. ماذا كانت روسيا هذه؟ وما العالم التي تنتمي إليه الآن؟ تتجلى المسألة الروسية في نزاعات 1990 –1991. حيث أتى بوريس يلتسين (مواليد 1931)، الذي كان على خلاف مع غورباتشوف، وأوضح الحالة الروسية بدلاً من الحالة السوفيتية. حيث كان دوره في أزمة الانقلاب في موسكو الذي حدث في أغسطس 1991 أمرًا حاسمًا. ففي الشهر السابق للأزمة أدى اليمين كرئيسًا للاتحاد الروسي، وتلقى مباركة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية. ربما كان هذا العلامة الأولى على التجديد الروسي بأكمله. كان الوقت قد حان لاستلام الرجال الروسيين المعمودية التي أهملها عائلاتهم لأسباب مجهولة. ربما ظهرت هذه النسخة الجديدة في حقبة القومية. كان كيريل الأول أسقف الكنيسة الأرثوذكسية وبطريرك موسكو وعموم روسيا منذ فبراير 2009 في خدمة الرئيس ميدفيديف ورئيس وزرائه فلاديمير بوتين. وفي الماضي كان قد أجرى اتصالات خارجية واسعة النطاق من خلال المجلس الكنائسى العالمي. على الرغم من ذلك، هذا الأمر لا يعني أنه قد أصبح نوعًا من الليبرالية الغربية. في الواقع فضل المادية الزائفة المزعومة لتكون متأصلة في عصر نهضة أوروبا، والإصلاح والتنوير (يتخيل أن هذا الأمر مستمرًا). كان لديه سيمفونية جديدة لكن تتمتع بروحانية قديمة لهذا الغرض. لكن إذا كانت هذه الرؤية حقًا "الطريقة الأرثوذكسية" للمستقبل، فكم عدد المواطنين الروس الذين يتشاركون فيها؟

ولد فلاديمير بوتين (عام 1952 ميلاديًا)، واختاره يلتسين في شهر أغسطس عام 1989 ليكون رئيس وزراءه، في لينينغراد. عنى عمره أنه لم يملك أي ذاكرة شخصية عن الحرب الوطنية العظمى. لم تؤثر وفاة ستالين في عام 1953 على أي شخص. استمرت تجربة لينينغراد في زمن الحرب لوقت طويل وبشكل عميق في حياتها المعاصرة. لن يهرب أي صبي ينمو هناك ويدرس في جامعة بلده من هذا الإرث المطوق من الحصار التاريخي

في زمن الحرب. عبرت لينينغراد عن مجد روسيا وضعفها، محافظة على التوازن بين الشرق والغرب. دخل خريج الحقوق هذا الاستخبارات السوفيتية (وكالة الأمن القومي). في عام 1985، كان من المرابطين في دريسدن (كانت إحدى المدن التي أصابتها لعنة الحرب). لم يحضر بوتين إلى هناك، على الرغم من استكشاف التراث الثقافي الأوروبي للمدينة أو التحرّق شوقًا إلى الوطن الأوروبي المشترك. ركز تجسسه على الشئون الأخرى في الدولة، مثل الحصن السوفيتي، التي إلى حد ما ظلت بعيدة عن الغرب.

كان من الصعب القول أن النظام السياسي والاقتصادي يتطور في هذا الوضع الفوضوي للتغيير الروسي في التسعينيات. وحان الوقت للكشف عن الصفقات الكبيرة والفساد المصاحب لها. لقد تعرّف العالم الخارجي على أعضاء في حكومة الأقلية للثورة المفاجئة العظيمة الذين ظهروا على ما يبدو من العدم كما بيعت أصول الدولة. كان هناك نوعًا من الديمقراطية، على الرغم من أن هناك شك بشأن ما اعتقده الغربيون من وجود الديمقراطية. لم تكن يلتسين آمنة لأسباب عديدة، لكنه نجا. يرى المعلقون الخارجيون أن السياسة الخارجية تتجه إلى اتجاه واحد أو أكثر، واعتقدوا أن التحول في روسيا سيتطلب إلى عقد أو ربما اثنين. أما المطلعين على الأمر اعتقدوا أن الأمر ينبغي أن يأخذ ستة أشهر. كانت المشكلة الرئيسية، الشائعة في أي مكان في ظروف مماثلة، اكتشاف ماهية أي حزب سياسي على أرض الواقع. تكونت الجماعات السياسية وانحلت بسرعة كبيرة. يجب أن تتدبر روسيا أمرها وتعمل على إصلاح الوضع. في عام 1999، كان بوتين رئيس وزراء غير معروف في البداية. بدا الأمر كما لو كان يجري على أن بوتين خليفة ليلتسين. في عام 2000 أُنتخب رئيسًا في الانتخابات الوطنية. بعد أربع سنوات، حصل على 71 في المائة من الأصوات. أثبت أنه بارعًا كأي زعيم غربي في تمييز نفسه. القاعدة الشخصية الذي طورها ليست الديكتاتورية ولا المناخ الغربي، لكنه أنشأ واستفاد من الشعور بأن روسيا قادمة وفقًا لشروطها. كان يريد يلتسين رؤية روسيا التي كانت تحتل وضعًا عالميًا تحت مسمى الاتحاد السوفيتي، لكن في الظروف المحلية للتسعينيات التي كانت من الممكن أن تتحمل هذا الوضع. عمل نظام الإحياء الذي عمل به بوتين على تغيير الوضع. لم يتخذ المراقبين

الخارجيين، سواء الأمريكيين منهم أو الأوروبيين الغربيين، قرارهم بشأن ارتياحهم للاستقرار والازدهار المحلي المستقطب أو انزعاجهم من قوة نظام بوتين المهجن. عنت عملية انتخابه لفترة أخرى كرئيس للاتحاد السوفيتي، بعد أن كان رئيسًا للوزراء، في عام 2012 استمرار حالة الريبة هذه. كانت هناك شكوك حول نزاهة الانتخابات وبعض الأدلة العامة عن حالة الاستياء. اعتقد البعض بعد ذلك أن هناك تطورات تفيد أن هناك شيء يُدعى الطابع القومي الروسي. هناك مفارقة أخرى أن روسيا الجديدة لم يكن بها شيخوخة سكان فقط، بل أيضًا انحطاط في القيم.

الاتحاد السوفيتي السابق: إعادة البناء

قد يكون هناك بعض "السلافيين" الذين لا زالوا على قيد الحياة. ضمن البيئة المحيطة بها ربما ما زالت روسيا تمارس نوعًا من الهيمنة بما أن العديد من الطرق لا زالت تؤدي إلى موسكو. يُمكن بالكاد للجيران المجاورين تجنب بعض العلاقات الخاصة معها. بعد كل شيء، كان لا يزال هناك روسيين في كل مكان في الاتحاد السوفيتي السابق وبلا أدنى شك أرادوا العودة إلى أوطانهم (أو حتى عرفوا مكان وطنهم). في مولدوفا، استاء عدد كاف من الروسيين من المثالية ليتمكنوا من إقامة جمهوريتهم الخاصة في شرق البلاد. مكنت الحماية الروسية هذا النظام من البقاء، وبمرور الوقت، طورت الحكومتين في مولدوفا علاقات العمل الغريبة. كان لموسكو كل الحق للضغط لاستمرار اللغة الروسية كلغة مشتركة لا زالت تربط العالم السوفيتي السابق. ظهرت رابطة الدول المستقلة في عام 1991، باستثناء دول البلطيق، وانضمت جميع الدول الخلف بشكل مبدأي إلى الرابطة. كان مقرها في مينسك في بيلاروسيا وليس في روسيا، على الرغم من سيطرة الأعضاء الروسيين. من البداية كان لابد للرابطة من تحقيق المستحيل. المسائل التي تم مناقشتها كانت متوقعة "العملة المشتركة، أو منطقة اقتصادية مشتركة، أو قوات عسكرية مشتركة، أو على الأقل الإستراتيجية العسكرية". لم يتم إثبات انعقاد أي اتفاق ممكن في أي مسألة من المسائل السابقة على مر عقدين من الزمان. لم يكن هناك لائحة واحدة معتمدة. انضمت الدول بشكل فردي رويدًا رويدًا. أكدت جميع الدول استقلاليتها، لكن مع ذلك

استمروا في الاجتماع، على الرغم من عدم استقلاليتهم تمامًا على أرض الواقع. في أعقاب الصراع العسكري مع روسيا، انسحبت جورجيا من العضوية فعلاً.

تكّون السلافيون الأصليون للاتحاد السوفيتي القديم الآن من ثلاث دول: بيلاروس، وأوكرانيا، والاتحاد الروسي. كان السؤال المُحيّر أكانوا مختلفين عن بعضهم بشكل جوهري أم لا، بعد عقدين من الزمان، أي قرار نهائي. انعكست الخلافات بين الدول أيضًا على تغيّر الثقافات والتوازنات الاقتصادية والديمغرافية بين هذه الدول، لذلك كان من الغريب ظهور أي نتيجة واضحة أو مبكرة. من الممكن أن يكون قضي البعض كثيرًا من الوقت في الإشادة بالروابط العائلية المزعومة أو انتقادها. أُستشهد بتاريخ، سواء دوقية ليتوانيا الكبرى أو خقانات روس، لدعم الوضع الجديد أو تقويضه. قُدمت العديد من الأساليب لكلا الاستراتيجيتين. أكثر صعوبة واجهتها روسيا البيضاء كانت هويتها، والجدير بالذكر أنها تُسمى الآن بيلاروس، كما لم يسبق لها أن تكون دولة مستقلة. كانت طريقة تحديد اللغة البيلاروسية أمرًا يستدعي الكثير من التفكير، حيث كان يتحدث عدد كبير من البيلاروسيين بالروسية أكثر مما يتحدثون بالبيلاروسية. سعى ألكسندر لوكاشينكو، الذي جاء إلى السلطة في الانتخابات الرئاسية في عام 1994 والذي بدا أن منصبه كان دائم حتى الآن، إلى توثيق العلاقات مع الاتحاد الروسي لا سيما إذا تمكن من أن يكون في دفة القيادة في كلاهما. لا تزال العلاقات بين مينسك وموسكو غير ودية. ومن ناحية التعاملات بين الحكومتين، وأيضًا في أماكن أخرى داخل دول الاتحاد السوفيتي السابق، كانت معدلات التبادل التجاري مثيرة للجدل. وعلى الرغم من ذلك، لم يكن اتجاه سفر لوكاشينكو بالتأكيد نحو الغرب. لم يكن مشيدًا بنفسه فيما يخص أسلوبه في تأمين سلطته وتعزيزها أمام الاتحاد الأوروبي. لقد شكل مستقبل أوكرانيا مسألة أكثر تعقيدًا وأكثر أهمية. بعد الاستفتاء، انسحبت أوكرانيا رسميًا من الاتحاد السوفيتي في أوائل ديسمبر 1991. كانت دولة، على الرغم من معاناتها من تصدعات داخلية شرقًا وغربًا من الناحية اللغوية والثقافية والدينية. بعد مرور عقدين من الزمن، ليس من المستغرب أنها هنا أيضًا حيث ظلت أوكرانيا منفتحة. دفع بعض الأفراد، وخلفهم قسم كبير من السكان

للانضمام إلى الغرب (بمعنى أن تكون أحد أعضاء الاتحاد الأوروبي والناتو) كوجهه لهم. على النقيض شدد خصومها على أهمية وجود علاقة وثيقة بالاتحاد الروسي. مرة أخرى، هل استغلت روسيا قوتها الاقتصادية للتحكم في أوكرانيا أم هل توقفت ببساطة عن الهيمنة على الأسعار التي تحملتها الدولة الجديدة؟ تردد أشخاص ذو شأن على علم بالمشاكل المعقدة في ميراثهم بين هذين المسارين. أيضًا كان التشعب واضحًا من ناحية أخرى. كان يوجد أعداد خفيرة من العمال الأوكرانيين في روسيا وأوروبا الوسطى. ولد أول رئيس للبلاد، وهو ليونيد كرافتشوك (1934) في منطقة كانت حينذاك جزءًا من بولندا. لم يكن طريقه نحو خيار الاستقلال واضحًا. كان لا يزال الماضي السوفيتي حاضرًا، على سبيل المثال شكل أسطول البحر الأسود الروسي، هذا الموضوع في المفاوضات المطولة قبل التوصل إلى اتفاق في عام 1997. كانت شبه جزيرة القرم نفسها مضطربة. بعد فترة من الاضطرابات، أصبحت جمهورية مستقلة داخل أوكرانيا لكن من حين لآخر حينما كانت العلاقات بين موسكو وكييف متوترة، زعمت أوكرانيا أن روسيا تتدخل في شؤون شبه جزيرة القرم. كان الرأي العام الروسي يجد صعوبة في الاعتقاد بأن شبه جزيرة القرم جزءًا لا يتجزأ من أوكرانيا. بالتأكيد لم تكن فيلا تشيخوف في دولة أجنبيه. لعبت قضايا الهوية دورًا بارزًا في المسار المضطرب للسياسات الداخلية الأوكرانية بعد عام 2004. كانت القضية الروسية دائمًا حاضرة. وأصبحت الانتخابات متكررة، على نقيض وجود حكومات فعالة. ظهرت سلطة شعب واختفت، نقص عدد السكان، كل هذا كان يشير إلى أن التحول قد بدأ على مر عقدين من الزمن. للإشارة إلى تفكك الاتحاد السوفيتي، على الرغم أنه كان هناك العديد من المعلومات المضللة التي كانت تنقل انطباعًا بشأن التمزق المطلق الحادث أو ما كان يتضمن أن الدول الخلافة محت بسهولة جميع العناصر الماضية المشتركة.

اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية لم يكن راج الذي تراجع عن الحكم سابقًا للحصول على بعض الانعزالية..

ستظل روسيا دائمًا الباب المجاور. قد تتبدل شبكة الروابط في عصر الاتحاد ، سواء

كانت شخصية أو غير ذلك، من ناحية وزنها وأهميتها، لكن من غير المرجح أن يتم طمسها. ومع ذلك فإن الأمر بشكل كامل من شأنه أن يكون أمرًا غير واضحًا. أثار التحرر الوطني أسئلة بشأن هوية الأمة في كل مكان.في الماضي، غيرت موسكو لعدة أسباب حدود الجمهوريات، وأمكن الاعتراض على تلك الحدود التي كانت قائمة في عام 1989 مرة أخرى. كانت هناك مقاطعات من جنسية واحدة داخل إقليم دولة أخرى. استطاع المستقبل أن يثبت هذه الاعتراضات. صنعت حرب عام 1988 التي نشأت بين أرمينيا وأذربيجان تحولات جوهرية للأرمن والأذريين من الناحية العرقية بين الدولتين. تطلعت بعض الدول إلى التشتت العالمي، مثل أرمينيا، للحصول على دعم. هناك عدد مماثل للأرمن مشتتين في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك في روسيا (على الأقل في فلاديفوستوك في الأماكن النائية) كما عاشوا في أرمينيا نفسها. كانت التحويلات المالية الخارجية كبيرة. أدت الروابط مع دول العالم في هذا الأمر وغيرها من الأمثلة، دورًا مهمًا في المساومة المحلية.نحو نصف مليون من الألمانيين الذين يعيشون في كازاخستان رحلوا من أوطانهم في التسعينيات. لذلك سواء حدث ذلك في وقت تفكك الاتحاد أم بعد فترة زمنية طويلة، كان من المحتمل أن يُصاحب تفكك الإمبراطورية المزيد من محاولات الانحلال وإعادة البناء والرحيل. تغيرت موازين السكان بشكل كبير خلال العقدين اللذين أعقبوا التفكك، ليس فقط بين مدينة ودولة ولكن أيضًا بين المجتمعات العرقية. وظهرت قيادات جديدة، حيث كانت تعكس أنماط حياتهم وأعمارهم عملية إعادة التوجيه التي كانت تجري. من بين هؤلاء القادة ميخائيل ساكاشفيلي (مواليد 1967) الذي خلف إدوارد شيفاردنادزه كرئيس لجورجيا، وكان ينتمي لعالم مختلف عن عالم سلفه. حصل على الإجازة في القانون من جامعة كييف الحكومية، كما حصل على منحة دراسية في الولايات المتحدة، كما درس في فرنسا. لم تكن خبراته هذه وإلمامه باللغة الإنجليزية من ضمنت له الحكمة. هدأت الصراعات الانفصالية في أوسيتيا الجنوبية وابخازيا التي أعقبت استقلال جورجيا بعد ذلك. وبحلول عام 2008، دخلت جورجيا في نزاع مُسلح ضد جارتها الكبيرة روسيا. تجلى هذا النزاع في النهاية باعتراف روسيا باستقلال الإقليمين أوسيتيا الجنوبية وابخازيا. وفي أعقاب هزيمتها، تعثرت طموحات الحكومة الجورجية

بالانضمام إلى الناتو والاتحاد الأوروبي. بغض النظر عن الانحيازات العقلية، إلا أنه كان هناك حقائق جيوسياسية لا يُمكن تجاهلها. كان انفصال الدول غير السلافية عن الدول السلافية الطريقة الوحيدة الواضحة، إذا كانت صحيحة، للنظر في الحالة التي تتبدى. قد تكون السلافية مشكلة في حد ذاتها، إلا أن الدول غير السلافية لم تقدم بديل لشبه التجانس – سواء عقائديًا أو ثقافيًا أو دينيًا: تركمانستان، وليست أرمينيا، وجورجيا وليست كازاخستان. لم تقدم الدول الخلافة أي رؤية عالمية مشتركة. على الرغم من ذلك دعمت الدول ذات الأغلبية المسلمة روابطها مع أخوانها المسلمين خارج حدودها على الرغم من الحذر الشديد من ذلك. لوحظ أيضًا أن الرؤساء المخولين من شعوبهم، مثل نور سلطان نزاربايف (مواليد 1940) رئيس كازاخستان وكان من الأنصار السابقين لإلحاد السلافيين، عملوا على استعادة المساجد وقاموا بالحج بأنفسهم. لم يكن نزار بايف من المتحمسين لحل الاتحاد السوفيتي. حتى بعد مرور عشرين عامًا من حدوث ذلك، كان لا يزال متحكمًا في الأمور. في أماكن أخرى أيضًا، كان لا يزال هناك بعض الوقت ليأتي جيلاً جديدًا من غير السوفيتين إلى السلطة.ازدادت أهمية آسيا الوسطى عالميًا حيث سعت دولها إلى تغيير نفسها، وذلك من خلال بعض مصادر البترول وغيرها المستمدة من الصراعات التي نشأت على حدودهم (في أفغانستان على وجه الخصوص). خاض بحر القزوين العديد من المنافسات بشأن الهوية. كان العالم الخارجي على بينة بهذه القضايا على وجه التحديد "القضية الشيشانية"، فهم شعب صغير مر بتجربة النزوح المريرة من الماضي الستاليني، على الرغم من أن هذه القضايا لم تكن منقطعة النظير على مستوى العالم. من الممكن ملاحظة التعقيدات التي تمت مواجهتها في هذا العالم المتفكك في التقدم الذي أحرزه جوهر دودايف (من مواليد 1944)، الذي عمل في القوات الجوية السوفيتية الشيشانية في إستونيا، ورفض الانصياع لطلب روسيا بضرب حركات الاستقلال في دول البلطيق. تزوج دودايف من إمرأة روسية. في ديسمبر/آب 1991، عاد إلى العاصمة الشيشانية غروزني، وأعلن استقلال الجمهورية الشيشانية. إلا أن بوريس يلتسين أصرّ على انتماء الشيشان إلى الاتحاد الروسي. وأعقب ذلك صراعًا مريرًا ودمويًا على السلطة. قُتل دودايف في عام 1996، لكن استمرت المقاومة، وأدى ذلك إلى نشوب حرب استمرت

بضع سنوات. وبدا في هذه الفترة أن عقد تسوية سيستغرق وقتًا طويلاً. وحدثت معركة غروزني المدمرة، وسويّت المدينة بالأرض. أيا كانت درجة الحكم الذاتي" القائمة أو التي كانت وشيكة، إلا أنه كان واضحًا أن وجود القوات العسكرية الروسية سيستمر لفترة، ومن المحتمل أن ينتج عنه إرهاب شيشاني في موسكو وغيرها. وأصرّ بوتين أيضًا على إتباع منهج الحرب على الإرهاب بدون أي تحفظات. وفي 25 ديسمبر 1991، عندما رفرف علم الاتحاد الروسي فوق مبنى الكرملين لأول مرة، ارتفعت أعلام الدول الأخرى لترفرف في جميع أنحاء العالم السوفيتي السابق. في أماكن في الاتحاد السوفيتي السابق، أعربت النغمة التي خرجت بها موسكو على عزم روسيا استرداد أصول الاتحاد بقدر الإمكان. كان هناك انتقادات لكل ما تم، أدت إلى ظهور اختلافات في التصور. حيث رأي الروسيين لا سيما الذين يقيمون خارج روسيا من مهندسيين وغيرهم من الخبراء الفنيين على سبيل المثال، أن دورهم إيجابي للغاية. وإعتقدوا أن الكزخستنة التي شجعت مغادرة الروسيين ستكون أمرًا سيئًا لكازاخستان. إعتقد غير الروسيين، الذين يصور أنهم مستغلين، أن الروسيين يستبدون المستعمرات. وعليهم أنه يعودوا إلى وطنهم.

ومن المستغرب أنه في ظل هذه الظروف استمر النزاع على جوهر روسيا، سواء داخليًا أو خارجيًا. لاحت أوروبا في الأفق واكتسبت أهمية جديدة، لكن كانت لا تزال موسكو تبحث في جميع الاتجاهات الأخرى. لا يمكن أن يكون هناك سوى قوة عالمية واحدة حتى لو قنع الانتقال الفوضوي في البداية أهميتها العالمية المستمرة. تم دعوة روسيا لحضور اجتماعات مجموعة الدول السبع لافتراض أهميتها في معالجة القضايا العالمية الاقتصادية والبيئية بشكل غير رسمي. والأساس المنطقي لمثل هذه الاجتماعات كانت أن الأعضاء مسؤولين عن ما يقرب من نصف الإنتاج، ويتقاسمون على نطاق واسع نفس الأنظمة السياسية والاقتصادية. كانت مثل هذه التجمعات تجعل تلك الدول الرائدة تتجاوز العالم المنصوص عليه في الإجراءات الدبلوماسية الرسمية الخاصة بالأمم المتحدة. والرئيس الروسي ينتمي الآن إلى هذا النادي. كانت هناك سخرية من هذا الوضع لأنه كان في السنة التالية التي انهار فيها الروبل وأعلنت روسيا تخفيض قيمة العملة والديون

الافتراضية. في حين أن هذا كان مهينًا ولم يكن أمرًا مرضيًا للمستثمرين الأجانب، إلا أنها نقطة تحول؛ حيث أصبح الاقتصاد الروسي أكثر تنافسية واستؤنف النمو مرة أخرى. من المحتمل أن ينتهي الأسوأ.

الولايات المتحدة الأمريكية: هل كانت صاحبة السمو الوحيدة؟

كان كل من "Out of Control" و"Pandemonium" عنوانين لكتابين نُشروا في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1993 من قبل زبيغنيو بريجنسكي ودانيال باتريك موينيهان، على التوالي؛ عكس الرجلين في الكتابين رؤيتهم عن الولايات المتحدة الأمريكية ومكانتها عالميًا. وأشار الكتابين إلى مفارقة، سواء كان الأمر في هذا الوقت أو بعد ذلك، إلا أن هناك خلاصة ذات أهمية كبيرة في فكرة فوز العالم الحر في الحرب الباردة وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد مرور ما يقرب من عامين، عندما تم الكشف عن تمثال لرونالد ريغان أمام السفارة الأمريكية في الولايات المتحدة، أعلن السياسيون البريطانيون هذا الاستنتاج مرة أخرى على الملأ. ففي الولايات المتحدة ذاتها، على مر أكثر من عقد، سعى الباحثون في الشك "نصر ريغان". كما أشار البعض أن القدرات العسكرية الأمريكية قد نشأت في ظل حكم كارتر. وناقش البعض مسألة أن الجيل الجديد من قادة الاتحاد السوفيتي لم يكونوا بحاجة إلى ظهور ريغان واقناعهم بالتخلي عن سياسات أسلافهم. وعلى الرغم من الانتقادات العلمية للباحثين، إلا أنه ظل الشعور العام بشأن فوز شمال الأطلسي بالحرب الباردة. على أقل تقدير ظل هذا الأمر مقبولاً بشكل عام. وبالنظر إلى ما حدث في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي نفسه، بدا أن هذا التقييم لا يمكن دحضه.

على صعيد آخر، جلب هذا النصر وخصوصا للولايات المتحدة المزيد من الغموض، فالكتابان أعلاه ينقلان القلق والانزعاج اللذان كان يعاني منهم عالم يترنح نحو كارثة. وفي بعض الأحياء الامريكية كان هناك شعورًا باتمام المهمة. لم يكن هناك أمرًا غير طبيعي أو حتمي بشأن شكل المشاركة العالمية الأمريكية التي تطورت منذ عام 1945. كان مطلوبًا دورًا متوازنًا بين الانعزالية والتدخل. كانت لدى الولايات المتحدة الأمريكية قضايا

داخلية وفيرة لمشاركة صانعي السياسة بدون تقديم أي عمليات إلهاء عن طريق النشر خارجيًا بشكل دائم. وبدت تلك الآراء على حد سواء جذابة ومقنعة للكثيرين. أصبح اتساع الولايات المتحدة الأمريكية أمرًا مشوهًا ومفرطًا. كان الوقت قد حان بالنسبة للشعب الأمريكي للعودة إلى وطنهم. تمامًا كما أعاد الاتحاد السوفيتي وضع نفسه، فبالتالي كان ينبغي أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بإعادة ضبط نفسها.تحررت أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا وأسيا من القيود الشاملة للحرب الباردة، وكان ينبغي على كل منهم العثور على مكان خاص بهم في العالم. إذا كانت العملية الناتجة عن ذلك بدت كأنها فوضى، فلا مانع من ذلك. كانت عملية ضرورية. مجرد التفكير في هذه السطور شمل نهجين مختلفين إلى حد ما. فمن ناحية يعكس الأنانية، فحتى في ذروة الإسقاط العالمي لأمريكا، القسم الأساسي للرأي الداخلي لا يزال يبدوا منفصلاً عن الرأي العام العالمي. أغلقت شبكات التلفزيون الأمريكية المكاتب الخارجية وخفضت بشكل كبير المحتوى الأجنبي للبرامج الإخبارية في العقد بعد عام 1989. فعلى ما يبدوا أن الناس لم تكن مهتمة. ومن المفارقات، ربما كانت الولايات المتحدة الأمريكية محدودة إلا إنها كانت واسعة الانتشار عالميًا. التجاهل الداخلي للعالم الخارجي لم يكن بالطبع إنجازًا أمريكيًا فريدًا، لكن كان أمرًا غير مألوف من هذه البلاد المتقدمة. ربما كان أوضح فيما يتعلق بحجم الولايات المتحدة. كان ذلك صحيحًا، من ناحية أخرى سافر حوالي 55.5 مليون أمريكي فى رحلات دولية من مطارات الولايات المتحدة في عام 2000، وهو الذي يزداد باستمرار على مدى العقدين المنصرمين. تشير بعض المعلومات هذه إلى بعض الغموض. سافر أمريكيون إلى الخارج لعدة أماكن أكثر من أي أشخاص آخرين في هذا الوقت (على الرغم إنه لم يكن واضحًا عدد مرات سفرهم المتكرر). كان العديد من هؤلاء المسافرين فضوليين بشكل كبير، وظل الكثير في وطنهم ولم يريدون معرفة. لم يكن الأمريكيين الجمهوريين كيانًا بسيطًا. وينبغي مراعاة كلا الشعورين للأمريكيين أولاً وهذه المثالية العالمية.

دعا أيضًا أولئك الأمريكيين إلى "الاشتباك"معاداةً للعسكرية الأمريكية والإسقاط

السياسي. قالوا أيضًا أن الخوف المُسبق من الشيوعية أدى إلى تعاقب الإدارات، خوفًا من الشيوعية لدعم الأنظمة غير اللائقة في جميع أنحاء العالم. كان هناك العديد من العروض الغامضة التي جالت باسم أمريكا. في الوقت الحالي، اعتقدوا أن هذا النوع من التدخل لم يعد أمرًا مبررًا. اعتقد خصومهم أن هذا الموقف أساء من فهم العلاقة بين الداخل والخارج.يجب أن تعمل الشبكة العالمية لجميع الحكومات في كل من المجالات الداخلية والخارجية. كان الأمر سطحيًا أن نفترض أن الانسحاب التام أمرًا ممكنًا. قد يكون هناك مجال لبعض التوجيه الدقيق للسياسة، ولكن فكرة أنه يمكن استبدال المجالات المحلية بأخرى أجنبية بضربة واحدة أمرًا سخيفًا. علاوة على ذلك، في حين أن العالم تغير، إلا أنه لم يتغير تمامًا. فكان الهرج والمرج للوقت الحاضر أمرًا حقيقيًا. ومع مرور الوقت، سحبت الولايات المتحدة الأمريكية قواتها المتمركزة على طول حدودها، لكن سيكون من الحماقة التعجل. إلا أن البلاد لازالت تدعم أوامر إقليمية معينة (في كوريا على سبيل المثال)، ولا يمكن العودة ببساطة بدون عواقب وخيمة. قد تكون شيوعية العالم الآن أمرًا ماضيًا، لكن ظلت المخاطر الأخرى، من وجهة نظر أمريكية. ليس أمرًا شرعيًا أن يكون هناك مصالح وطنية، ومن غير اللائق للولايات المتحدة الأمريكية الإبقاء على نشر قدرتها العسكرية في الخارج إذا كانت هذه المصالح (على سبيل المثال الوصول إلى النفط) معرضة للتهديد.

وضعت الولايات المتحدة الأمريكية مواردها العسكرية في مكانة فريدة عالميًا. اجتمعت الظروف معًا لجعلها القوة العظمى الوحيدة بالقدرة والخبرة للعمل عالميًا إذا اقتضت الضرورة. ظلت هذه القوة أمرًا قريبًا. لا يمكن أن تتحدى الولايات المتحدة الأمريكية العالم. قيّد وجود الأسلحة النووية، وإمكانية زيادة انتشارها، قدرتها على التدخل في أي مكان في العالم (بافتراض أنها تريد القيام بذلك). لا يوجد هناك شيئًا على الرغم من ذلك دائمًا بالضرورة بشأن الميزة العسكرية التي امتلكتها الولايات المتحدة الأمريكية. في وقت سابق، اعتقد نقاد الإفراط في التمديد أن هناك تكاليف غير مقبولة، بل تكاليف لا يمكن تحملها، سعيًا للحفاظ على وضعها العالمي. وحتى مع افتراض

إمكانية توفير التكاليف – بطبيعة الحال لم يكن الموضوع الذي تحدث عنه الاقتصاديين بالإجماع – هل أنتجت فوائد مناسبة؟

كان من المتوقع إثارة جدل حول ماهية المصلحة الذاتية الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية في هذه المرحلة فقط. على الرغم من ذلك، ثار الجدل بجانب الشعور المتجدد بأن البلاد في مهمة للسعي وراء مصلحتها الذاتية. قال جورج دبليو بوش أمام الكونجرس في سبتمبر 1990 أن هناك عالم جديد يكافح من أجل الخروج من البوتقة. سيكون عالمًا مختلفًا عن المعروف سابقًا. حيث ستحل سيادة القانون محل قانون الغاب، وسيحترم فيه القوي الضعيف. مثل هذا الخطاب وغيره من الأحاديث الأخرى الأمريكية التي ضربت على وتر حساس. ذلك نذيرًا بالانفصال غير المتحمس له لكنه مشاركة جديدة. لا يمكن للعالم أن يترك آلياته الخاصة. كانت الولايات المتحدة نوعًا من المختبرات العالمية للبشرية. كان ينظر إلى هذه القناعات المكررة في بعض الأحيان من الخارج خصوصًا على أنها دليلاً خطيرًا على خداع الذات. اعتادت الولايات المتحدة على تحديد سيادة القانون بالطرق التي تناسبها. لم يمر الأمر بهدوء وبشكل محايد في هذه الغابة. واصل العالم الخارجي في النظر إلى هذا المزيج المحيّر من التنمر والخير في موقفها العالمي. تكلم النقاد عن الولايات المتحدة الأمريكية التي تتحدى العالم أو حتى قد تشن حربًا عليه. على النقيض، اعتبرها الأنصار أنها مرساة العالم، والتي تمنعه من الانزلاق في الصراعات الإقليمية الخطيرة. أعربت هذه الأحكام المتناقضة عن حالة عدم اليقين السائدة. ما لا يمكن القيام به في أي مكان تقريبًا هو تجاهل وجود العلامة التجارية الأمريكية سواء كان الأمر متعلق بالمواد الغذائية أو الأزياء أو الموسيقى. هل كان القرن الأمريكي قريبًا من نهايته، أم أن انهيار شيوعية الاتحاد السوفيتي على حافة أقصى تأثيرها؟

بخصوص هذا الصدد، تلقت القضايا المألوفة اعتياد لا نهاية له على مر عقدين من الزمان. أنتجت تشخيصات الاقتصاد أحكام متناقضة (لم يكن ذلك على مدى العقود التي تلت ذلك، بل كان هناك وقت لتحليل حالة الدولة). تم مقاومة المفاهيم التي جاءت عن الشرايين الصناعية التي كانت قاسية بشكل خطير من خلال دليل حيوي مثل ثورة

تكنولوجيا المعلومات المتسارعة. كانت صورة الولايات المتحدة التي كشفت تنوع الولايات المتحدة. أفهمتنا بوضوح الآثار المترتبة على الاقتصاد العالمي الذي انغمست فيه الولايات المتحدة الأمريكية، الآن أكثر من أي وقت مضى موضوع الاهتمام. فُحصت المزايا والعيوب النسبية للعولمة من جديد. يمكن رؤية العولمة دائمًا خارج الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها الأمركة، لا سيما الذي تم رؤيته من النواحي الاقتصادية، لكن إذا كان الأمر كذلك فإن الأمركة أصابت هدفها. ليس لدى الإدارات المتعاقبة سوى خيار واحد في مواجهة الضغوط الداخلية الأمريكية، وتحديد الطرق التي يعتقد الأمريكان أن بها يمكنهم أن ينجحوا في الاقتصاد العالمي الذي كان في طريقه إلى الانحدار. كشفت المناقشات بشأن هذه المسائل الانقسامات الحادة التي لا تعني شيئًا بناء على أسس حزبية. يبدو أن العصور الجديدة مشكوك فيها كما أعلن الرؤساء. وامتنعت الدول ليصبحوا الجهات الفاعلة الدولية الوحيدة كما انتقلت الشركات التجارية المتعددة الجنسيات من بلد إلى بلد. منحت حجم ميزانية الدفاع الأمريكية وحجم التطور التقني لقواتها المسلحة مادة لاستمرارها في مكانتها كقوة عظمى وحيدة في العالم. لا يمكن لأي بلد أخرى أن تنشر هذه القوة في جميع أنحاء العالم. ومع هذا التفوق، ظهر سؤال مزعج. ففي العالم الجديد، أي ظروف يمكن استغلالها بفعالية؟ كان من الصعب تحديد العدو في عالم المنافسات المختلفة والنظم السياسية. ربما كان هناك عدم تطابق بين امتلاك القوة المهيبة والقدرة على ممارستها بشكل فعال. قد تكشف الظروف المتاحة على أرض الواقع مرة أخرى حدود القوة الصعبة كما أثبتت الأحداث الماضية. كانت هذه المسائل معروضة للنقاش وبشكل خاص في الولايات المتحدة الأمريكية. قليل من التميز وضعها على المحك. ومن الواضح أن الإسقاط الخارجي والتصور الذاتي الداخلي يسيران جنبًا إلى جنب بشكل طبيعي. إذن ليس من الغريب أن يصبح نفس الخليط المحير من الثقة والشك دليلاً داخليًا. لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية على وشك التفتيت، مثل ما حدث مع الاتحاد السوفيتي. ومع ذلك، كانت أسس هويتها معرضة للضغوط. قد تصل أمة من المهاجرين إلى حد عدم استيعاب قدرة الأعداد الكبيرة. زادت الضغوط من أجل التشريعات التي تهدف إلى تقييد هذا التدفق من الأعداد الكبيرة. وصل تسعة ملايين من المهاجرين بشكل قانوني في

التسعينيات أكثر ممن وصلوا في أول هذا القرن. لم يحتسب بشكل دقيق عدد المهاجرين غير الشرعيين، ولكن قد يكونوا بلغوا سبعة ملايين نسمة في جميع أنحاء العالم في مطلع القرن. جاءت كلتا الفئتين من أمريكا اللاتينية إلى حد كبير لكن أيضًا أتى بعض منهم من الفلبين وفيتنام. في الواقع، واصل العالم في تيسير طرقه إلى الولايات المتحدة، بدرجات متفاوتة، كما واصل المهاجرين الاتصال بحياة أوطانهم. واستمر تدفق الناطقين بالأسبانية الأمر الذي زاد من القلق الثقافي. وتم تقليب بوتقة صهر الأمريكيين بالمعلقة التي تُسمى اللغة الإنجليزية. ما يحدث من دخول اللغة الإسبانية كان يهدد الأمة الواحدة. أحيت النقاشات التي تلت ذلك والمحاولات في بعض الولايات لتعزيز موقف اللغة الإنجليزيه الخلافات القديمة. أدت الموجة الجديدة في خلق قصة أمريكية تتعلق بشروط السود/ البيض التقليديين. كان هناك شعور مشترك بين السود والبيض بشأن عدم الاستقرار الذي يجري قبل إعادة توازن السكان الأمريكيين. أدت التعددية الثقافية إلى حدوث تقليل من تفوق البيض وتراجع التضامن مع البيض. لم يهب هذا الأمر المزيد من التطلعات للسود فقط، بل أيضًا الأمريكيين الجدد والإيرانيين والفيتناميين وغيرهم حيث شغل السود الساحات الثقافية والاقتصادية. كشفت مزايا وعيوب الهجرة الناطقين باسم كل منهما. كان الأمر الأكثر خلافًا هو كيف ومتى ينبغي جعل الأمور قانونية؟ وزُعم أن الأجانب متورطين في تهريب المخدرات للبلاد بشكل غير متكافيء. سُجن سجناء من أنحاء العالم في السجون الأمريكية بأرقام كبيرة، وكانوا ينتظرون الترحيل في نهاية فتراتهم. هذه الصورة المتنوعة يُمكن أن تؤدي إلى وضع متناقض حيث شعرت فيه القوة العظمى بنفسها أنها تحت الحصار. لذلك كانت هوية أمريكا في هذه المرحلة أيضًا أمرًا غريبًا ومعقدًا ومحصورة في مستقبل العالم. كيف طور الأمريكان هذا الأمر وكيف فسروا هذا التطور. كان أحد هؤلاء المفسرين هو فرانسيس فوكوياما (ولد عام 1952) الذي لفت نظر العالم بمقالته عام 1989 التي كانت بعنوان "نهاية العالم" عندما ظهرت في كتابه منذ بضعة أعوام. لم يكن العنوان يوحي بنبؤة الهلاك. فهو آمن أن الشعب الأمريكي حقق مستوى معين من الرخاء المادي وفهم حقوقه. هذا الإنجاز لم يكن شيئًا غريبًا وأساسيًا للأمريكيين على الرغم من ذلك. شكل هذا نموذجًا لما يمكن للعالم أن يحققه دون إخماد التميز. على الرغم مما درسه

هنتغتون، لم يتوقع فوكوياما حصر الحضارة الغربية بعناد في صراع الحضارات الأخرى. وقال أنه لا يتجاهل المآسي التي قد تشوه العالم في القرن العشرين قبل أن يولد، لكنه يعتقد أن تكرارها أمرًا لا مفر منه. حيث كانت الاتصالات بين الحضارات أمرًا خلاقًا. تضاءلت نسبة الحروب حيث أدركت الدول أنه لا يوجد بديلاً معقولاً للمنظمة الديمقراطية الرأسمالية الليبرالية. يُمكن تفسير هذه الأطروحة على وجه التحديد، حيث وصل الأمر إلى دعم جداول الأعمال التي لم يدعمها، لكنه لم يصرح بأن أمريكا والعالم كانوا في نقطة تحول. اكتسب وجهة نظره من الطريقة التي ينسجم معها تاريخ عائلته. جلبت الحرب الروسية اليابانية جده الياباني إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحيث اعتقل هناك في الحرب العالمية الثانية لبعض الوقت. أصبح والده وزيرا مسيحيًا (ينسب لطائفة) وعالم اجتماع. وكانت والدته ابنة أكاديمية يابانية. نشأ فوكوياما نفسه في مانهاتن. وقال أنه لم يتعلم اللغة اليابانية لكنه أُعجب بما حققته اليابان منذ عام 1945. لم تكن قصته قصة مثالية أمريكية، لكن يوجد في أمريكا الكثير من التواريخ العالمية المختلفة التي كانت موجودة ولم يزورها التاريخ الجديد. إنها كانت عملية مستمرة.